

ذوو الهمم في التراث الإسلامي

—قراءة في سيرة الإمام الشاطبي الضرير وعطاءه العلمي—

"People of Determination in Islamic Heritage: A Study of the
Life and Scholarly Contributions of the Blind Scholar Imam
Al-Shatibi"

د. صَبِيَّة بنت عبد الرشيد البلوشية

Subaiya Abdul Rasheed Al Balushi

أصول الدين/ كلية العلوم الشرعية/ مسقط

Fundamentals of Religion/College of Sharia

Sciences/Muscat

salblushi@css.edu.om

تاريخ الاستلام: 2025/07/02 تاريخ القبول: 2025/09/10 تاريخ النشر: 2025 /12/14

ملخص:

في إطار إبراز مكانة ذوي الإعاقة وقدراتهم، يتناول هذا البحث سيرة الإمام القاسم بن فيره الشاطبي، الذي وُلد ضريراً في القرن السادس الهجري، وتمكّن رغم إعاقته من تحقيق نبوغ علمي لافت، خصوصاً في علم القراءات، حتى صار من أبرز أئمة. ويُعدّ عمله الأشهر "حز الأمانى ووجه التهاني" (الشاطبية) من أهم المراجع في هذا المجال. اعتمدت الباحثة في دراسة هذه الشخصية على المنهج التاريخي لتحليل سيرته وسياقه الزمني، والمنهج التحليلي لتفكيك إنتاجه العلمي، إلى جانب المنهج الوصفي المقارن لاستنباط الدروس وتطبيقها على واقع ذوي الهمم المعاصر. كما تناول البحث البيئة

العلمية والاجتماعية التي احتضنت الشاطبي ومكنته من الإبداع. وخلصت الدراسة إلى أن الإعاقة لا تشكل عائقاً أمام التفوق إذا توفرت الرعاية والبيئة المناسبة، وأن الشاطبي يمثل نموذجاً يُحتذى به في تحويل التحديات إلى إنجازات علمية خالدة، مما يعزز ضرورة تمكين ذوي الهمم في الحاضر.

مصطلحات البحث: ذوو الهمم، الإمام الشاطبي، الضرير.

Abstract:

As part of highlighting the status and capabilities of people with disabilities, this research explores the biography of Imam Al-Qasim ibn Firruh Al-Shatibi, who was born blind in the sixth century AH. Despite his visual impairment, he achieved remarkable scholarly distinction, particularly in the field of Qur'anic readings (Qirā'āt), eventually becoming one of its foremost authorities. His most renowned work, *Hirz al-Amānī wa Wajh al-Tahānī* (commonly known as *Al-Shāṭibiyyah*), remains one of the key references in this discipline. The researcher employed the historical method to analyze his life and temporal context, the analytical method to examine his scholarly output, and the descriptive comparative method to derive lessons applicable to the current reality of people of determination. The study also examined the scholarly and social environment that supported Al-Shatibi and enabled his creativity. It concludes that disability is not a barrier to excellence when proper care and a supportive environment are provided, and that Al-Shatibi represents a living model of transforming challenges into enduring scholarly achievements, reinforcing the need to empower people with disabilities today.

Keywords: People of determination, Imam Al-Shatibi, the blind

المقدمة:

إن من أعظم النعم التي أكرم الله بها الإنسان أنه ميّزه عن سائر المخلوقات بالعقل، ومنحه القدرة على التفكير والإبداع، فجعل منه خليفة في الأرض ليعمرها بالخير والعلم والعمل. ولم تكن هذه المهمة الإلهية مرتبطة بسلامة الجسد أو اكتمال الحواس، بل إن التاريخ الإنساني والإسلامي على وجه الخصوص، يشهد أن من بين من تركوا بصمات خالدة في مختلف مجالات الحياة أناسًا واجهوا تحديات جسدية أو حسية، لكنهم امتلكوا من الإرادة والعزيمة ما جعلهم قادة فكر ورواد علم. وفي هذا السياق، يُعد الإمام القاسم بن فيّره الشاطبي أحد أبرز النماذج التي جسّدت هذا المعنى، إذ وُلد أعمى، لكنه أبصر بنور العلم، فصار إمامًا في القراءات القرآنية، وترك إرثًا علميًا خالدًا يتجلى في منظومته "حرز الأمانى ووجه التهاني"، المعروفة بـ"الشاطبية"، والتي أصبحت مرجعًا معتمدًا في علم القراءات حتى يومنا هذا. وتكمن أهمية دراسة سيرة الإمام الشاطبي في تسليط الضوء على قدرة ذوي الهمم على التميز، حين تتوفر لهم بيئة حاضنة وداعمة، وحين يُنظر إليهم من زاوية القدرات لا من منظور العجز. وقد اعتنى الإسلام بهذه الفئة عناية كبيرة، وجعل لهم مكانة سامية، وقد جسّد الشاطبي هذا المعنى في حياته، إذ لم يقف فقدان بصره عائقًا أمام تحصيله العلمي أو نبوغه في تخصصه، بل دفعه إلى مضاعفة الجهد حتى صار يُعدّ من أعلام عصره. وانطلاقًا من ذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة سيرة الإمام الشاطبي من جوانبها المختلفة، وتسليط الضوء على العوامل التي أسهمت في نبوغه رغم إعاقته،

واستثمار هذه القصة في بناء رؤية معاصرة لرعاية وتمكين ذوي الهمم العالية. وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذا البحث على عدد من المناهج العلمية، شملت: المنهج التاريخي لتحليل السياق الزمني والاجتماعي لحياة الإمام الشاطبي، والمنهج التحليلي لدراسة أعماله العلمية، والمنهج الوصفي المقارن لاستنباط الدروس وإسقاطها على واقع ذوي الإعاقة في العصر الحديث. وفي الختام، توصلت الباحثة إلى أن ذوي الهمم ليسوا عبئاً على مجتمعاتهم، بل هم مورد من موارد القوة والإبداع إذا أُتيحت لهم الفرصة، وإن سيرة الإمام الشاطبي ليست مجرد استعراض لتاريخ شخصي، بل مدخل لفهم كيفية تعامل الحضارة الإسلامية مع ذوي الهمم، واستخلاص الآليات التي مكنتهم من تجاوز الإعاقة وتحقيق التميز.

سبب اختيار الموضوع:

جاء اختيار موضوع الإمام الشاطبي نموذجاً للدراسة لما يحمله من دلالات علمية وحضارية بالغة الأهمية. فالإمام الشاطبي يُمثل أنموذجاً بارزاً في التاريخ الإسلامي لإنسان حوّل إعاقته البصرية من عائق ظاهر إلى دافع جوهري للتميز والإنجاز العلمي، حتى بلغ مكانة رفيعة في علوم القرآن الكريم والقراءات. ويعكس هذا النموذج أن الإعاقة الجسدية لا تُقاس بحدودها الظاهرة، وإنما بما يملكه الفرد من عزيمة وإرادة صلبة، وما توفر له بيئته من فرص للتمكين والرعاية. كما يكتسب الموضوع أهميته من كونه يفتح آفاقاً أمام الدراسات التربوية والاجتماعية المعاصرة، إذ يتيح استلهام الدروس من التجارب التاريخية في كيفية استيعاب ذوي الهمم وتقدير قدراتهم وتوفير بيئة حاضنة لهم، بعيداً عن النظرة النمطية التي قد تحصرهم في دائرة العجز. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة شخصية الإمام الشاطبي تسهم في بناء رؤية معاصرة تتبنى مبدأ الشمولية في التعليم والتمكين العلمي،

وتؤكد أن الطاقات الكامنة لدى ذوي الإعاقة يمكن أن تتحول إلى منجزات مؤثرة إذا أُحسن اكتشافها ورعايتها.

إشكالية البحث:

ما العوامل التي مكّنت الإمام الشاطبي، رغم إعاقته البصرية، من تحقيق هذا المستوى الرفيع من التميز العلمي في علم القراءات؟ وكيف يمكن توظيف هذه التجربة كنموذج معاصر لدعم وتمكين ذوي الهمم في المجتمعات الإسلامية؟

أسئلة البحث:

- من هو الإمام الشاطبي وما ملامح سيرته العلمية والعملية؟
- ما العوامل التربوية والاجتماعية والثقافية التي دعمت نبوغه؟
- كيف وظّف الشاطبي إعاقته البصرية لخدمة القرآن الكريم؟
- ما السبل المعاصرة للاستفادة من تجربة الإمام الشاطبي في دعم ذوي الهمم؟

أهداف البحث:

- إبراز شخصية الإمام الشاطبي كنموذج ملهم لذوي الإعاقة.
- تحليل العوامل التي ساهمت في تفوقه العلمي رغم إعاقته.
- استلهام التجربة الشاطبية في وضع آليات معاصرة لرعاية ذوي الهمم.
- الإسهام في تعزيز الوعي بدور ذوي الهمم في بناء الحضارة الإسلامية.

منهج البحث: اعتمدت الباحثة المناهج الآتية:

- المنهج التاريخي: لدراسة حياة الإمام الشاطبي وسياق نشأته.
- المنهج التحليلي: لتحليل إنتاجه العلمي ومقومات تميزه.

—المنهج الوصفي المقارن: لمقارنة تجربته بنماذج معاصرة واستخلاص الدروس.

—المنهج الاستقرائي: لرصد النتائج التي تدعم استثمار قدرات ذوي الهمم.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: تركز الدراسة على فترة حياة الإمام الشاطبي (540هـ - 590هـ).

الحدود الموضوعية: دراسة سيرة الإمام الشاطبي من زاوية كونه نموذجًا لذوي الهمم، مع التركيز على الجوانب التربوية والعلمية والاجتماعية.

الدراسات السابقة:

استفاد البحث من مجموعة من الدراسات التي تناولت سيرة الإمام الشاطبي من الجانب العلمي، وكذلك من الأدبيات التي تناولت قضايا ذوي الهمم في التراث الإسلامي. ومع ذلك، فإن هذا البحث يتميز بمحاولة الدمج بين دراسة سيرة شخصية تراثية وتحليلها كنموذج معاصر لإرادة ذوي الهمم، وهي زاوية لم تنل حظًا كافيًا من البحث في الدراسات السابقة.

—الدراسة الأولى: الإمام الشاطبي ومنهجه في كتابه حرز الأمانى ووجه التهاني¹،

الباحث: د. عبد العزيز عبد الفتاح، تناولت الدراسة الجوانب العلمية في منظومة الشاطبية، وركزت على شرح منهج الإمام الشاطبي في عرض القراءات السبع، وتحليل أسلوبه في النظم، دون التطرق إلى سيرته الذاتية أو التحديات التي واجهها. تميزت به دراستي: دراستي

¹ عبد الفتاح، عبد العزيز، الإمام الشاطبي ومنهجه في كتابه حرز الأمانى ووجه التهاني، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، فرع القاهرة، العدد (54)، 2016م، ص. 233-278.

لا تقتصر على التحليل العلمي لمنظومته، بل تتوسع لتدرس الجانب الإنساني والتربوي من حياته، وتُبرز كيف حوّل إعاقته إلى مصدر قوة، وهو ما لم تتطرق إليه هذه الدراسة.

—الدراسة الثانية: ذوو الإعاقة في التراث الإسلامي: مكانة ورعاية¹، الباحثة: د.

ليلي بنت عبد الله السليمان، تناولت الدراسة مفهوم الإعاقة في الإسلام، ومكانة ذوي الاحتياجات الخاصة في النصوص الشرعية، واستعرضت نماذج عامة من علماء مسلمين من ذوي الإعاقات، لكنها لم تتناول شخصية الإمام الشاطبي بالتحليل أو التخصيص. تميزت هذه الدراسة بالجانب النظري الفقهي، بينما بحثي يقدم نموذجًا تطبيقيًا دقيقًا (الإمام الشاطبي) ويحلله من خلال سياق اجتماعي وثقافي وتربوي متكامل.

—الدراسة الثالثة: دور البيئة التربوية في صناعة العلماء: الإمام الشاطبي نموذجًا²،

الباحث: د. عبد الرحمن بن محمد الشمري، ركزت الدراسة على أثر البيئة التربوية والتعليمية في نشأة الإمام الشاطبي وتكوينه العلمي، وسلطت الضوء على دور شيوخه ومجالس العلم، لكنها لم تدرس إعاقته أو تُبرز علاقته بذوي الهمم كإطار تحليلي. تتميز دراستي بدمج السيرة الذاتية بالإعاقة، وربطها بنظريات التمكين المعاصرة لذوي الهمم، مع تقديم رؤية تطبيقية مستلهمة من النموذج التاريخي.

¹ السليمان، ليلي بنت عبد الله، ذوو الإعاقة في التراث الإسلامي: مكانة ورعاية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (88)، 2019م، 121-150.

² الشمري، عبد الرحمن بن محمد، دور البيئة التربوية في صناعة العلماء: الإمام الشاطبي نموذجًا، وقائع المؤتمر الدولي لتاريخ التربية الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 10-12 ديسمبر 2021، ص. 95-118.

تُعد هذه الدراسة متميزة عن الدراسات السابقة بكونها تتناول شخصية الإمام الشاطبي بوصفه نموذجًا تطبيقيًا لذوي الهمم، وتجمع بين التحليل العلمي لإبداعاته الفكرية، والبُعد الإنساني التربوي لمسيرته مع وجود الإعاقة البصرية، وتسعى لربط الماضي بالحاضر عبر مقارنة تأصيلية تطبيقية، تُسهم في وضع آليات معاصرة لتمكين ذوي الهمم في ضوء التراث الإسلامي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مبحثين رئيسيين، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب كما يلي:

المبحث الأول: السيرة العلمية والعملية للإمام الشاطبي

المطلب الأول: النشأة والتكوين العلمي في الأندلس

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده

الفرع الثاني: البيئة الاجتماعية والعلمية

المطلب الثاني: ملامح الشخصية العلمية للشاطبي

الفرع الأول: العلوم التي تلقاها، وثناء العلماء عليه

الفرع الثاني: أبرز شيوخه

الفرع الثالث: تلاميذه ونشر علمه

المطلب الثالث: مكانته العلمية وأثره في علم القراءات

الفرع الأول: إنجازاته العلمية في “الشاطبية”

الفرع الثاني: ملامح منهجه العلمي

الفرع الثالث: وفاته وخلوده العلمي

المبحث الثاني: الإمام الشاطبي أنموذجًا في الإبداع العلمي لذوي الهمم في التراث الإسلامي من خلال علم القراءات

المطلب الأول: أثر الإعاقاة في تشكيل الإرادة والتميز

الفرع الأول: الإعاقاة بين المحنة والمنحة

الفرع الثاني: الإرادة والتحدي في سيرة الشاطبي

الفرع الثالث: البُعد التربوي في تجربته

المطلب الثاني: البيئة الثقافية والاجتماعية الداعمة لنبوغ الشاطبي

الفرع الأول: الحاضنة العلمية في الأندلس

الفرع الثاني: الأسلوب التربوي القائم على الحفظ والمشافهة

الفرع الثالث: العدالة الاجتماعية في البيئة الإسلامية

المطلب الثالث: الشاطبي وتأثيره الحضاري والراهن في تمكين ذوي الهمم

الفرع الأول: الأثر العلمي الممتد لمنظومته

الفرع الثاني: الشاطبي كرمز لتمكين ذوي الهمم

المبحث الأول: السيرة العلمية والعملية للإمام الشاطبي (538هـ - 590هـ)

يُعدّ الإمام القاسم بن فيرّه الشاطبي من أبرز أعلام علم القراءات في العالم الإسلامي، ويُضرب به المثل في التفوق رغم التحديات. يجمع هذا المبحث أبرز الجوانب المتعلقة بسيرته الذاتية، نشأته، ملامح نبوغه العلمي، ومكانته في تاريخ القراءات.

المطلب الأول: النشأة والتكوين العلمي في الأندلس

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده

هو الإمام القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد بن القاسم الشاطبي الرُّعيني الأندلسي، يُكنَّى بأبي القاسم، ويلقَّب بـ"الشاطبي" نسبة إلى مدينة شاطبة الواقعة شرقي الأندلس¹. عُرف بكونه أحد أبرز أئمة القراءات وعلوم القرآن في القرن السادس الهجري، وتَمَيَّز بإتقان كتاب الله وضبط رواياته، كما كان واسع الاطلاع في أصول العربية، ذا عناية بالحديث الشريف، وقد ضُبِطت نسخ الصحيحين من لفظه.

امتاز الشاطبي بمجدة الذكاء وقوة الحفظ وحسن التعبير، واشتهر بجودة النظم، وكان متواضعاً ورعاً، شديد الحرص على آداب مجالس العلم؛ فلا يقرأ إلا على طهارة وخشوع، ويُعرف بحفظ لسانه وحث جلسائه على ترك فضول الكلام. ترك عددًا من المصنفات البارزة، من أهمها منظومته الشهيرة *حزر الأمانى ووجه التهاني* (المعروفة بـ"الشاطبية")، التي لاقت قبولاً واسعاً بين العلماء والقراء، فضلاً عن نظمه في الرسم والعدد وقصائد أخرى. تلقى القراءات على عدد من كبار شيوخ عصره، أبرزهم: أبو الحسن علي بن هذيل، وأبو داود سليمان بن أبي القاسم الأموي، والإمام أبو عمرو الداني، كما أخذ عن أبي عبد الله محمد بن العاصي النفري، وغيرهم. وقد مثَّلت هذه السلسلة العلمية امتدادًا لأسانيد معتبرة في علوم القراءات. وُلِدَ الإمام الشاطبي في أواخر سنة 538هـ بشاطبة².

وانتقل إلى مصر حيث استقر بها حتى وفاته عصر الأحد في آخر جمادى الآخرة سنة 590هـ، ودُفن بسفح جبل المقطم بمقبرة البيساني. وقد رثاه تلامذته وأهل عصره بقصائد

¹ عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، *المدخل إلى علم القراءات*، (دار وقف أصول الشاطبية للنشر، جدة، ط3، 2022م)، 384.

² عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، *الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع*، (جدة: مكتبة السوادى للتوزيع، ط4، 1412 هـ - 1992 م)، ص3.

تُبرز مكانته العلمية وفضله¹، ودفن بمقبرة القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى بسفح جبل المقطم بالقاهرة، وقبره معروف يقصد حتى الآن للزيارة، تغمده الله بواسع رحماته، وأفاض علينا من خيراته وبركاته².

وقد نصّ على اسمه ونسبه الإمام ابن الجزري بقوله: "القاسم بن فيّره بن خلف بن أحمد الشاطبي الضرير، الإمام العلم، صاحب الشاطبية، قرأ على أبي الحسن علي بن هذيل"³.

أما ابن خلكان فقد ترجم له فقال: "كان ضريراً، لكنه بلغ في علم القراءات ما لم يبلغه غيره، وصنف كتابه المشهور في هذا العلم، وهو في غاية الإتقان"⁴.

الفرع الثاني: البيئة الاجتماعية والعلمية

وُلد الإمام الشاطبي في فترة ازدهار علمي بالأندلس، وتحديدًا في مدينة شاطبة، حيث كان الاهتمام بالعلوم الشرعية واللغوية مزدهرًا، وتوافرت فيها حلقات العلم، مما ساعده على التكوين العلمي المبكر.

¹ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني (في القراءات السبع)، تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1402 هـ - 1982م)، ص716.

² القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مرجع سابق، ص4.

³ ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: بدر الدين القاسمي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 2005م)، ج2، ص159.

⁴ ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، 1994م)، ج4، ص87.

ثم انتقل إلى مرسية، إحدى الحواضر العلمية الكبرى في الأندلس آنذاك، وهناك تلقى العلوم على يد نخبة من العلماء، وبرزت موهبته في الحفظ والتميز، على الرغم من فقدته للبصر منذ ولادته، مما يدل على قوة ذاكرته، وسعة إدراكه¹.

المطلب الثاني: ملامح الشخصية العلمية للشاطبي

الفرع الأول: العلوم التي تلقاها، وثناء العلماء عليه

درس الإمام الشاطبي القرآن الكريم وعلومه، وتفقه على مذهب الإمام مالك، وتعلم النحو، والصرف، والبلاغة، والأصول. إلا أن بروز اسمه كان في علم القراءات، حيث أبدع في ضبط الروايات وتوثيق طرقها، حتى صار مرجعاً معتمداً فيها، وكان الإمام الشاطبي يتوقّد ذكاءً، له الباعُ الأطول في القراءات والرّسم والنحو والفقه والحديث؛ ألّف في ذلك متوناً ممتعة، بدّت فيها غزارة علمه، ورجاحة عقله، وغُلُو منزلته، فلمّا تصدّر مصر عظم شأنه، وبُعِد صيته، وانتهت إليه رئاسة الإقراء، وكان الشاطبي إماماً ثبّتاً حجةً في علوم القرآن والحديث واللغة، كما كان آيةً من آيات الله في حِدّة الدّهن، وحصافة العقل، وقوة الإدراك، مع الزُّهد والولاية، والورع والعبادة، والانقطاع والكشف، شافعي المذهب مواظباً على السُّنة، لا يجلس للإقراء إلا على طهارة، وكان يمنع جلساءه من الخوض إلا في العلم والقرآن، وكان يعتل العلة الشديدة، ولا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سُئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك...

ثناء العلماء عليه:

قال عنه القفطي: "وتفنّن في قراءة القرآن والقراءات، وهو حدّث، وقرأ الناس عليه في بلده، واستفادوا منه..."، وكان الإمام الشاطبي رحمه الله - كما وصفه تلميذه أبو الحسن

¹ ابن الجزري، غاية النهاية، مرجع سابق، ج2، ص159.

السَّخاوي - عالماً بكتاب الله؛ بقراءته وتفسيره، وعالماً بحديث رسول الله مبرراً فيه، وكان إذا قُرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ يُصَحِّح مِنْ حفظه... قال ابن الجزري رحمه الله: "كان الشاطبي أحد الأعلام الكبار... آية من آيات الله، غايةً في القراءات أعجوبة في الذِّكاء، مواظباً على السُّنة، وقال: بلغنا أنَّه وُلِدَ أعمى، وقال ابن كثير رحمه الله: كان دَيناً خاشعاً ناسكاً كثير الوقار، لا يتكلَّم فيما لا يعنيه..."¹

الفرع الثاني: أبرز شيوخه

ذكر ابن الجزري أن الإمام الشاطبي قرأ على الإمام أبي الحسن علي بن هذيل، كما قرأ القراءات السبع على الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي. وكان له أيضاً شيوخ في النحو واللغة، منهم أبو القاسم الشاطبي النحوي²، ومن أشهر شيوخه:

- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي
- وأبو عبد الله محمد بن جعفر بن حميد البلنسي،
- وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص.

وقد أفادته أخذ العلم عن علماء من شتى العلوم في تنوع المعارف، مما ساعده على الجمع بين علوم القراءات، واللغة، والعروض، فكان يؤلف بلغة رصينة، ذات دقة علمية وجمالية أدبية.

الفرع الثالث: تلاميذه ونشر علمه

تتلمذ على يديه عدد من العلماء، أبرزهم أبو محمد القاسم بن فيره اللخمي الذي نقل علمه إلى المشرق، بالإضافة إلى علماء آخرين، درس الإمام الشاطبي بشاطبة،

¹ ابن الجزري، غاية النهاية، مرجع سابق، ج2، ص159.

² المرجع السابق.

وبالمدرسة الفاضلية بالقاهرة، وكان تدريسه في فنون شتى لكنه كان عمدة أهل القراءات في زمانه، من أشهر تلامذته:

- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي اللّخمي الشاطبي،
- وأبو زكريا يحيى بن أبي علي، المعروف بالزّواوي،
- وأبو الحسن علي بن محمد بن موسى التجيبي الشاطبي،
- وأبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السّخاوي المعروف بعلم الدين (قرأ عليه القراءات وأتقنها، وقرأ عليه الشاطبية غير مرة—قراءة ضبط وسمعها وشرحها منه... وهو أجلُّ طلابه). ما جعل الشاطبي حلقة وصل بين المدارس القرآنية في الأندلس والمشرق.

وقد ألف منظومته المشهورة وهو في أواخر حياته، ودرّسها حتى وفاته، وقد كانت تلقى قبولاً واسعاً من طلاب العلم، حيث اعتمدت في تدريس علم القراءات لقرون متلاحقة¹.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وأثره في علم القراءات

الفرع الأول: إنجازاته العلمي

وُلد الإمام الشاطبي في أواخر سنة 538هـ بشاطبة، حيث تلقى فيها القراءات وحذقها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري ثم رحل إلى بلنسية، فعرض بها التيسير للإمام أبي عمرو الداني، كما عرض بها القراءات على الإمام ابن هذيل، وسمع منه الحديث. وأخذ على أبي عبد الله محمد بن حميد كتاب سيبويه، والكمال للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة. ثم رحل للحج عن طريق الإسكندرية؛ فسمع بها من أبي طاهر

¹ السندي، المدخل إلى علم القراءات، مرجع سابق، 384.

السلفي وغيره من الفضلاء. ولما دخل القاهرة أقبل عليه الناس واجتمعوا حوله يرتشفون من علمه الفياض، وينهلون من أدبه الغزير. فلما ترامت أخباره إلى «القاضي الفاضل» حاكم مصر اتصل به وأكرم نزله وجعله شيخا للمدرسة، الفاضلية بالقاهرة، فتصدر بها للإقراء، وحضر له أهل العلم من كل صوب وحذب ليتلقوا عنه علوم القرآن الكريم، وبهذه المدرسة نظم فيما نعلم أربع قصائد:

الأولى: حرز الأماني، وهي التي نحن بصدد شرحها، اختصر فيها كتاب «التيسير» في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.
الثانية: عقيلة أتراب القصائد في بيان رسم المصاحف العثمانية، اختصر فيها كتاب المقنع للإمام الداني المذكور.

الثالثة: ناظمة الزهر في علم الفواصل - ولنا عليها شرح وجيز نافع - اختصر فيها كتاب البيان في عدّ آي القرآن للإمام الداني أيضا.
الرابعة: قصيدة دالية تخص فيها كتاب التمهيد لابن عبد البر.

وكان الشاطبي رضى الله عنه إماما ثبتنا، حجة في علوم القرآن والحديث واللغة، كما كان آية من آيات الله في حدة الذهن وحصافة العقل وقوة الإدراك، ويزين ذلك كله زهد في الدنيا، وورع في الدين، وإقبال على الله تعالى بمختلف العبادات ومتنوع القربات، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة، وكان يمنع جلساءه من الخوض إلا في العلم والقرآن، وكان يعتل العلة الشديدة ولا يشتكي، فكان مثلاً أعلى للصبر والاستسلام لربه والخضوع لحكمه، وإذا سئل عن حاله لا يزيد على أن يقول: «العافية»¹.

¹ القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مرجع سابق، ص 4.

أهم ما خلّده الإمام الشاطبي هو منظومته "حز الأمانى ووجه التهاني"، التي نظم فيها القراءات السبع، بأسلوب شعري في بحر الرجز، بلغ عدد أبياتها (1173) بيتًا. وقد جمع فيها الروايات بإتقان، واستخدم رموزًا دقيقة لتيسير الحفظ والفهم. تقول د. ليلي سليمان: "إن هذه المنظومة لم تقتصر على الجانب العلمي فحسب، بل كانت عملاً تربويًا، سهّل علمًا معقدًا بأسلوب بديع"¹.

الفرع الثاني: ملامح منهجه العلمي

امتاز الإمام الشاطبي بدقة المنهج، والتزام الرواية، والحرص على ضبط المتن. لم يكن ناقلًا فقط، بل ناقدًا ومحللاً، حيث اختار من الروايات أوثقها، واعتمد تسلسلاً منطقيًا يراعي القارئ.

وقد قال عنه الإمام أبو شامة المقدسي: "جمع الإمام الشاطبي في نظمه علمًا كثيرًا، وحرّره تحريرًا متقنًا، لم يُسبق إليه"².

كان -رحمه الله تعالى- إمامًا في علوم القرآن، ناسحًا لكتاب الله تعالى، متقنًا لأصول العربية، رحلة في الحديث، تُضبط نُسخ الصحيحين من لفظه، غاية في الذكاء، حاذقًا في تعبير الرؤيا، مجيدًا في النظم، متواضعًا لله تعالى، قدوة في الصلاح، ذا بصيرة صافية، يلوح منه الكرامات، وكان يعذل أصحابه على أشياء ما اطلع عليها، وسمع الأذان بجامع مصر من غير المؤذنين مرارًا، وكان محفوظ اللسان، يمنع جلساءه من فضول الكلام، لا يجلس

¹ سليمان، ليلي بنت عبد الله، ذوو الإعاقة في التراث الإسلامي: مكانة ورعاية، مرجع سابق، 121-150.

² أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، شرح الشاطبية المسمى إبراز المعاني من حزر الأمانى، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت)، (ج1، ص8).

للإقراء إلا متطهرا، خاشعاً لله تعالى، له تصانيف حسنة، فمن نظمه قصيدة دالية، في كتاب التمهيد لابن عبد البر، من فهمها أحاط بالكتاب علماً¹، ومن نظمه: رأيته في الرسم فائقة، ورأيته في العدد، وواسطة عقد تصانيفه القصيد الذي ساد في الأمصار، وتلقاه بالقبول علماء الأعصار.

الفرع الثالث: وفاته وخلوده العلمي

توفي الإمام الشاطبي سنة 590هـ في مدينة مرسية، وقد دُفن فيها. ومع ذلك، ظلّ علمه حيّاً في قلوب الطلاب والعلماء، وانتشرت "الشاطبية" في المشرق والمغرب، وشُرحت عشرات المرات، واعتمدها الأزهر الشريف وغيرها من المؤسسات العلمية حتى اليوم². وقد كان أهم الآثار التي تركها الشاطبي منظومته الكبيرة المسماة (حز الأمانى، ووجه التهاني)، وهي من المنظومات المتقدمة تاريخياً في هذا الفن، وقد لاقت قبولا واسعا، وهي تتألف من (1173) بيتا من البحر الطويل الذي يلتزم قافية لامية، اختار الشاطبي أن يرمز لكل قارئ من القراء السبعة بحرف من الأبجدية، فيشرح بذلك اختيار كل قارئ، ومذهبه في الأصول والفرش.

¹ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حزر الأمانى (في القراءات السبع)، تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، 1402 هـ - 1982م)، ص766.

² الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط17، 2002م)، (ج6، ص86).

ولم يكن عمل الشاطبي هذا إلا نظماً على كتاب التيسير لأبي عمرو الداني، الذي صنف كتابه لبيان قراءات الأئمة التي اعتمدها ابن مجاهد، ولكن نظم الشاطبي هو الذي طاف بالبلاد، وحفظه طلاب هذا الفن، وهكذا فإن عملي الشاطبي والداني تكاملاً في تقرير الأخذ باختيار ابن مجاهد للقراءات السبع على أنها تمثل جميع المتواتر من قراءة المعصوم صلى الله عليه وسلم¹.

وحتى اليوم فإن منظومة الشاطبي هي أدق ما صنف في باب القراءات، وعنهما يأخذ طلبة العلم في التلقي والمشافهة.

وقد تسابق العلماء قديماً وحديثاً في شرح قصيدته -خصوصاً اللامية- وأول من تصدّى لشرحها تلميذه الإمام السخاوي، ثم الإمام أبو شامة المقدسي، ثم الإمام الجعبري، وهو أدق الشروح، وأغزرها مادة، وأكثرها فائدة.

المبحث الثاني: الإمام الشاطبي أنموذجاً في الإبداع العلمي لذوي الهمم في التراث الإسلامي من خلال علم القراءات

يُعدّ الإمام الشاطبي نموذجاً بارزاً لتجسيد القدرة على تجاوز الإعاقة وتحويلها إلى قوة دافعة للتميّز والإبداع العلمي، في ظل بيئة علمية وثقافية مكّنت ذوي الهمم من أداء دور فعال في بناء الحضارة الإسلامية. يتناول هذا المبحث ملامح هذا التمكين من خلال

¹ محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (دمشق: دار

الفكر، ط1، 1419 هـ - 1999)، ص74

شخصية الشاطبي، والعوامل التي ساعدت على نبوغه، وتأثيره في الوعي المعاصر تجاه فئة ذوي الإعاقة.

المطلب الأول: أثر الإعاقة في تشكيل الإرادة والتميز

الفرع الأول: الإعاقة بين المحنة والمنحة

الإعاقة في المفهوم الإسلامي ليست عجزًا عن الإنتاج، بل قد تكون محفزًا على التجاوز والابتكار. فقد دلّ القرآن الكريم على تكريم الإنسان بصفته كائنًا مكرمًا بالعقل والتميز، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70)، وهذا التكريم يشمل ذوي الإعاقة الذين يُنظر إليهم من منظور القدرة لا النقص. وقد جسّد الإمام الشاطبي هذا المفهوم حين جعل من فقدانه البصر مجالًا للتركيز على الحفظ والتحصيل، متجاوزًا حدود الإعاقة الجسدية إلى مراتب عالية من التميز العلمي، ويكفيه حفظ كتاب الله العظيم، والقرآن ينير قبر صاحبه: وإلى هذا يشير الإمام الشاطبي بقوله:

وحيث الفتى يرتاع في ظلماته ... من القبر يلقاه سنا متهللا

والمعنى: «إذا كان قارئ القرآن يخشى من أعماله السيئة المظلمة أو من ظلمات القبر فإن القرآن يلقاه مشرقًا باسم الوجه، فيأنس به ويتبدل خوفه أمنا وطمأنينة»¹.

الفرع الثاني: الإرادة والتحدي في سيرة الشاطبي

¹ محمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، (القاهرة: دار الكلمة، ط1، 1425 هـ - 2004 م) ص19.

ولد الإمام الشاطبي ضريرًا، ومع ذلك أظهر من الصبر والمثابرة ما جعله مثالاً نادراً في تاريخ العلم الإسلامي. لم تمنعه إعاقته من حفظ القرآن، ودراسة علوم اللغة والنحو والفقه، والتفوق في علم القراءات.

بل إن فقدان البصر ساعده على تعميق قدراته السمعية والحفظية، حتى أصبح مرجعاً للقراء والمقرئين.

وقد قال عنه ابن الجزري: "وكان إماماً ضابطاً مقرئاً، حافظاً متقناً، ضريراً أعمى، ومع ذلك كان من أوسع الناس حفظاً لطرق الروايات"¹.

الفرع الثالث: البُعد التربوي في تجربته

إن تجربة الإمام الشاطبي تعكس نموذجاً تربوياً في التعامل مع ذوي الهمم؛ فقد هيات له أسرته وبيئته العلمية فرص التعلم والاحتواء، ووفرت له الأدوات المناسبة، مما يؤكد أهمية الدعم المجتمعي في تمكين هذه الفئة.

وقد أشار ابن خلدون في المقدمة إلى أهمية البيئة العلمية في تنمية المواهب، حتى لدى من يعاني من إعاقة جسدية، قائلاً: "الملكة إنما تحصل بالتعليم والتدريب، ولا تمنعها الأعراض البدنية إذا وُجد التحفيز والبيئة"².

ولما فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس توجه إليه فزاره سنة 589هـ، ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرئ حتى توفي. قال ابن الجزري: كان إماماً كبيراً، أعجوبة في الذكاء،

¹ ابن الجزري، غاية النهاية مرجع سابق، ج2، ص159.

² ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 2005م)، ص422.

كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع، مواظبًا على السنة¹. وكان ضريرًا -ولد أعمى- ولكن لا يظهر منه ما يظهر من الأعمى من حركات، وكان لا يتكلم إلا بما تدعو إليه الضرورة، وكان يمنع جلساءه من الخوض إلا في العلم والقرآن، وكان يصلي الصبح بغلس بالفاضلية ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السرى إليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولاً فليقرأ، ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق...

المطلب الثاني: البيئة الثقافية والاجتماعية الداعمة لنبوغ الشاطبي

الفرع الأول: الحاضنة العلمية في الأندلس

تميّزت الأندلس في القرن السادس الهجري بوجود حواضر علمية مزدهرة، مثل شاطبة ومرسية، ما ساعد على تنمية قدرات الشاطبي العلمية. كانت الكتاتيب، والمساجد، ومجالس العلماء مفتوحة أمام كل طالب علم، دون تمييز على أساس الإعاقة، مما يعكس نضج الوعي الحضاري الإسلامي. وقد أشار المقرئ في نفح الطيب إلى أن الأندلس كانت "واحة للعلماء من كل فن، لم تُقص طالبًا ولا مهمومًا، وكان من أعلامها الإمام الشاطبي الأعمى الذي ملأ الدنيا علمًا"².

¹ السندي، صفحات في علوم القراءات، مرجع سابق، ص 403.

² المقرئ، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. (بيروت: دار صادر، د.ط، 2001م)، ج 2، ص 170.

الفرع الثاني: الأسلوب التربوي القائم على الحفظ والمشاهدة

اعتمد الشاطبي في تحصيله على أساليب التعليم الشفهي والحفظ المتقن، مما ساعده على تجاوز عقبة فقدان البصر. وقد تفوّق على أقرانه في ضبط الروايات، واعتماد الرموز في منظومته، مما جعلها سهلة الحفظ والاستيعاب.

قال أبو شامة المقدسي في مقدمة شرحه للشاطبية: "نظم الإمام الشاطبي أرجوزته فأحسن، وأودعها من الفوائد ما يدل على حفظ عميق، وفهم دقيق، وبيان بديع، مع كونه أعمى لا يقرأ ولا يكتب"¹.

الفرع الثالث: العدالة الاجتماعية في البيئة الإسلامية

أفسحت الحضارة الإسلامية مجالاً واسعاً لذوي الإعاقة؛ فلم يكونوا مهمشين أو معزولين، بل كانت تسند إليهم وظائف في التعليم، والفتيا، والتدريس، والقضاء أحياناً. والإمام الشاطبي مثال لهذا الاندماج الوظيفي الكامل.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي - ﷺ - استخلف ابن أم مكتوم، وهو أعمى، في إمامة الصلاة، مما يدل على الاعتراف بقدرات ذوي الإعاقة في المهام الدينية والاجتماعية².

¹ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. (د.ت). إبراز المعاني من حرز الأمان. القاهرة: دار الكتب. ج1، ص8.

² صحيح البخاري. (د.ت). الجامع الصحيح. كتاب الأذان، باب استخلاف الإمام، حديث رقم 657.

قدم الإمام الشاطبي للأمة الإسلامية أعمالاً كبيرة، وصدقاً وإخلاصاً في علمه، ولم يمنع العمى من التصنيف، وضرب المثل في التعلم والتعليم، وكان لهم تلامذة من شتى الآفاق، وقد نقل الإمام القرطبي: أن الإمام الشاطبي لما فرغ من تصنيف الشاطبية ونظمها، طاف بها حول الكعبة مراراً عديدة، وكلما جاء في أماكن الدعاء دعا بقوله: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب هذا البيت العظيم، انفع بها كل من قرأها. أخذ القراءات، وروى الحديث عن كثير من الأعلام؛ ومن أبرزهم¹:

1- أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي العاص النفري، الشاطبي، المعروف بابن اللاية، توفى في بضع وخمسين وخمسمائة، أتقن عليه القراءات بشاطبية.

2- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي "ت564هـ".

3- أبو طاهر السلفي الإسكندري "ت576هـ".

4- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي التلمساني "ت600هـ".

5- أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن النعمة الأنصاري البلنسي "مصنف ري الظمان في التفسير" "ت567هـ".

- تلامذته²:

قرأ عليه كثيرون بالروايات والقراءات؛ منهم:

1- أبو موسى عيسى بن يوسف المقدسي.

¹ أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، (مكة: المكتبة الأمداية

ط1- 1415 هـ)، ص339.

² السندي، صفحات في علوم القراءات، مرجع سابق، ص400.

- 2- أبو القاسم عبد الرحمن بن سعد الشافعي.
- 3- أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي -وهو من أجل أصحابه- "ت643هـ".
- 4- أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي "ت631هـ".
- 5- الكمال علي بن شجاع الضرير -صهره- "ت661هـ".
- 6- أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب "ت646هـ"، وقرأ عليه بعض القراءات وسمع عليه القصيد والتيسير.

— مناقبه ومآثره:

وهو الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار والمشهورين في الأقطار.
المطلب الثالث: الشاطبي وتأثيره الحضاري والراهن في تمكين ذوي الهمم
الفرع الأول: الأثر العلمي الممتد لمنظومته

امتدت آثار الإمام الشاطبي العلمية قرونًا بعد وفاته، فقد أصبحت "الشاطبية" المعتمد الأول في علم القراءات السبع، وتداولها العلماء في كل أنحاء العالم الإسلامي، وتعدّ من أبرز الشواهد على إنتاج ذوي الإعاقة لإبداع علمي خالد.
وقد قال الإمام السيوطي: "من أراد القراءات فعليه بالشاطبية، فإنها جمعت من الروايات وأوثقها، وسهّلت الصعب، وقربت البعيد"¹.

¹السيوطي، جلال الدين. (1997). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (بيروت: دار الفكر، د.ت، 1997م) ج2، ص370.

اشتهرت منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني بالشاطبية والألمية، وهي من البحر الطويل، عدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومئة وألف، ابتداء الشاطبي نظمها في الأندلس وأتمها في القاهرة، تناول فيها أحكام القراءات السبع أصولاً وفرشاً، معتمداً على ذلك على كتاب التيسير في القراءات السبع، وزاد عليه زيادات¹.

• جعل الناظم منظومته في مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة، ولقد لقيت إقبالا كبيرا، ولا تزال حتى يومنا هذا العمدة لمن يريد إتقان القراءات السبع، وظلت موضع اهتمام العلماء منذ أن نظمها الشاطبي رواية وأداء، وذلك لإبداعها العجيب في استعمال الرمز وإدماجه في الكلام، حيث استعمله عوضاً عن أسماء القراء أو الرواة، فقد يدل الحرف على قارئ واحد أو أكثر من واحد، وهناك رموز ومصطلحات في المنظومة البديعة، لا يعرفها إلا من أتقن منهج الشاطبي وعرف مصطلحه...، ولم يحظ كتاب في القراءات بالعناية التي حظيت بها هذه المنظومة، حيث كثر شراحها وتعددت مختصراتها، ومن أشهر شروح الشاطبية²:

1. فتح الوصيد في شرح القصيد لـ "علم الدين السخاوي"، المتوفى سنة 643هـ.
2. وإبراز المعاني من حرز التهاني لـ "أبي شامة"، المتوفى سنة 665هـ.
3. وكنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني لـ "الجعيري"، المتوفى سنة 732هـ.
4. وسراج القارئ المبتدئ وتذكّار المقرئ المنتهي لـ "ابن القاصح"، المتوفى سنة 801هـ.

¹ السندي، المدخل إلى علم القراءات، مرجع سابق، ص 2289-292.

² المرجع السابق.

5. وتقريب النفع في القراءات السبع للشيخ "علي محمد الضباع"، شيخ عموم المقارئ المصرية، المتوفى سنة 1380هـ.

6. والوافي في شرح الشاطبية لـ "عبد الفتاح القاضي"، المتوفى سنة 1403هـ.

الفرع الثاني: الشاطبي كرمز لتمكين ذوي الهمم¹:

يُعدّ الشاطبي نموذجًا تاريخيًا يُستحضر في عصرنا لبناء سياسات احتواء لذوي الاحتياجات الخاصة. فقصته تؤكد أن الإعاقة لا تلغي الطموح، بل تحفز عليه، إذا وجدت البيئة الحاضنة والمؤسسات الداعمة.

إن استثمار سيرته في مناهج التعليم، وسردها كنموذج إلهامي، يُعد من أدوات التمكين التربوي والنفسي للأطفال والشباب من ذوي الهمم.

قال ابن الجزري: ومن وقف على قصيدته "اللامية والرائية" علم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصًا "اللامية" التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها؛ فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن؛ بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن؛ فإنني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منه؛ بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه، ولقد تنافس الناس فيها، ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية أنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الحجيح صاحب السخاوي

¹ السليمان، ليلي بنت عبد الله، ذوو الإعاقة في التراث الإسلامي: مكانة ورعاية، مرجع سابق، مجلة العلوم، ص 121-150.

مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل ... وقد بارك الله له في تصنيفه وأصحابه، فلا تعلم أحدًا أخذ عنه إلا قد أنجب"¹.

خلاصة ما سبق تؤكد أن تجربة الإمام الشاطبي تمثل نموذجًا علميًا وتربويًا بارزًا يمكن الاستفادة منه في صياغة سياسات معاصرة موجهة لذوي الإعاقة. فقد أثبتت سيرته أن فقدان الحواس لا يقف حائلًا أمام بلوغ مراتب عالية من التميز العلمي والإبداع الفكري، متى ما توافرت الإرادة الفردية والدعم المؤسسي والمجتمعي. ومن خلال دراسة شخصيته ومساره العلمي يمكن استنباط عدة مخرجات عملية.

أولاً: ضرورة إتاحة فرص التعليم التخصصي لذوي الإعاقة، وعدم حصرهم في قوالب تعليمية محدودة، بل تمكينهم من الدخول مختلف ميادين المعرفة، أسوة بما وجد الشاطبي من بيئة علمية احتضنته وأعلت من قدره.

ثانيًا: أهمية دعم الإنتاج العلمي والأدبي الصادر عن هذه الفئة، إذ يمثل ذلك اعترافًا بقدراتهم ووسيلة لإثراء المشهد الثقافي والمعرفي.

ثالثًا: تعزيز مكانة القدوة الإسلامية في المناهج التعليمية من خلال إبراز سير الأعلام من ذوي الهمم كالإمام الشاطبي، بما يساهم في بناء وعي طلابي يحترم التنوع البشري ويستثمر الطاقات الكامنة.

رابعًا: تمكين ذوي الهمم في الحقول الأكاديمية والدينية، عبر توفير بيئة مؤهلة تراعي احتياجاتهم، وتفسح المجال أمامهم للمشاركة الفاعلة في البحث والتعليم والإفتاء.

¹ السندي، صفحات في علوم القراءات، مرجع سابق، ص403.

وبذلك، يصبح استلهام تجربة الشاطبي مدخلاً لبنني رؤية شمولية تؤمن بأن الإعاقة ليست عجزاً، بل قد تكون حافزاً يفتح الطريق نحو التميز العلمي والمجد الحضاري.

الخاتمة

يُعدّ الإمام القاسم بن فيره الشاطبي أحد النماذج الخالدة في التراث الإسلامي التي تُجسّد مفهوم التمكين الحقيقي لذوي الهمم. فقد برز الشاطبي، رغم كونه كفيفاً منذ ولادته، كأحد أعلام علم القراءات، ووضع منظومته "حز الأمانى ووجه التهاني" المعروفة بـ"الشاطبية"، التي صارت مرجعاً علمياً عظيماً ورافداً حضارياً دائماً. وقد أبرز هذا البحث كيف ساهمت العوامل الثقافية، والبيئة العلمية، والرعاية الاجتماعية في تمكينه من تجاوز إعاقته وتحقيق ريادة علمية لا تزال آثارها قائمة.

لقد كشف البحث عن أهمية البنية الثقافية في الحضارة الإسلامية، التي لم تكتفِ بمجرد استيعاب ذوي الهمم، بل أتاحت لهم فرص التميز والإنتاج والمشاركة المجتمعية. ومن خلال سيرة الشاطبي، أمكن استخلاص رؤية واضحة حول إمكانية توظيف قصص النجاح من التراث في بناء سياسات معاصرة داعمة لذوي الإعاقة.

النتائج:

—يُمثل الإمام الشاطبي نموذجاً متقدماً في تحويل الإعاقة إلى مصدر قوة وإبداع، لا سيما في مجال القراءات القرآنية.

— أظهرت التجربة الأندلسية أن المجتمعات الإسلامية قديماً كانت منفتحة على دمج ذوي الإعاقة في المؤسسات العلمية والدينية.

- ساعدت البيئة الحاضنة، من أسرة ومجتمع وعلماء، في تنمية قدرات الشاطبي رغم إعاقته.

- الشاطبية ليست فقط منظومة في القراءات، بل وثيقة تثبت أن التمكين ممكن مهما كانت التحديات الجسدية.

- يوجد تراث إسلامي غني يدعم ذوي الهمم، يمكن توظيفه في السياسات التعليمية والاجتماعية المعاصرة.

التوصيات

- ضرورة إدماج قصص النجاح لذوي الهمم من التراث الإسلامي في المناهج التعليمية.

- تبني سياسات تعليمية وتربوية تُعزز من قدرات ذوي الإعاقة، على نحو ما تحقق في سيرة الشاطبي.

- دعم البحث العلمي في مجال تمكين ذوي الهمم من خلال دراسات تربوية وتاريخية مقارنة.

- إنشاء مراكز تكوين وتأهيل تقتدي بالنماذج الحضارية القديمة في التعامل مع ذوي الإعاقة.

- تشجيع الإنتاج العلمي والثقافي من قبل ذوي الهمم، وتوفير منصات لعرض إبداعاتهم.

فهرس المراجع والمصادر

- أبو شامة الدمشقي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. (1982). *إبراز المعاني من حرز الأماني (في القراءات السبع)* (تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- حبش، محمد. (1999). *القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية* (الطبعة 1). دمشق: دار الفكر.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق: بدر الدين القاسمي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005.
- السيوطي، جلال الدين. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. بيروت: دار الفكر، 1997.
- الغماري، عبد الله بن الصديق. الإمام الشاطبي حياته وآثاره. طنجة: دار الحديث الحسنية، 1985.
- المقري، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 2001.
- صحيح البخاري. الجامع الصحيح. كتاب الأذان، باب استخلاف الإمام، حديث رقم 657.
- عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المدخل إلى علم القراءات، (دار وقف أصول الشاطبية للنشر، جدة، ط3، 2022م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2005.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. إبراز المعاني من حرز الأمان. القاهرة: دار الكتب، د.ت.
- الباز، محمد عباس. (2004). *مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص* (الطبعة 1). القاهرة: دار الكلمة.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 2002.

—السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور. (1994). صفحات في علوم القراءات (الطبعة 1). مكة: المكتبة الأمدادية.

—القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. (1992). الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع (الطبعة 4). جدة: مكتبة السوادي للتوزيع.

المؤتمرات

الشمري، عبد الرحمن بن محمد، دور البيئة التربوية في صناعة العلماء: الإمام الشاطبي نموذجًا،

وقائع المؤتمر الدولي لتاريخ التربية الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 10-12 ديسمبر 2021.

المجلات والدوريات

—السليمان، ليلي بنت عبد الله. "ذوو الإعاقة في التراث الإسلامي: مكانة ورعاية". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 88، 2019، ص 121-150.

—عبد الفتاح، عبد العزيز، الإمام الشاطبي ومنهجه في كتابه حرز الأمان ووجه التهاني، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، فرع القاهرة، العدد (54)، 2016م، ص. 233-278.

ص. 233-278.